السمّاح عبد الله

مكابدات سيد المتعبين

الأعمال الشعرية - ٥

السمّاح عبد الله

مُكَابَدَاتُ سَيِّدِ الْمُتْعَبِينْ

شعر

السمّاح عبد الله

إِشَارَةْ

* صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في يناير ١٩٩٢

* وصدرت الطبعة الثانية منه عن دار التلاقي للكتاب في أغسطس ٢٠٠٩

إِهْدَاءَةْ

افرحي الآن أيتها الملكة
اصطفى الوقت أحلى خلائقه
واحتفى بروائحه
شجر المملكة.

بَدْءُ الْقَوْل

جسدي قائمٌ وروحي مواتُ
وسهادي معا ونومي سباتُ
وثيابي تجر مني عظاما
لا سكونٌ لها ولا حركاتُ.

أبو نواس

نَذرْ

مايو ١٩٩١

لكأنما أعطاكَ ربّ الكون
شيئا آخرًا
غير النشيجْ
تلقى به أهوالَ هذا العالم المهزوزِ بين السهوِ
والحرامْ
وترش هذا الشوك بالألق المعبق
والأريجْ
لكأنما يختارك القدّيسُ

أنت المتعبُ الصديانُ
راهبًا
تجترُّ طولَ الليل شهوةً
بين زوايا هذه الكنائسِ المحرَّمةْ
تمضي وحيدا
ساكتا
والناس يحرسها الضجيجْ
يا أيها الموهومُ
من أعطاكَ سِرّ الفرحةِ الأُولى
ووارى وجهَه
ومضى
فصرتَ تعسُّ في خللِ الليالي
واحدًا
بين الجداراتِ الكثيرةِ

والهواء مُعَبَّأٌ بروائح الغُيَّابِ والماضينَ
والجسدُ النحيلُ يحاولُ الفرحَ العصيَّ
وأنتَ منذورٌ لشيء آخرٍ غير النشيجِ
وغير آلامِ السهامْ
يا أيها الموهومُ
شيَّخَتِ المشاويرُ الطويلةُ في خُطاكَ
فكيف فضَّختَ الحشا
ولمنْ
تعجّلتَ الكلامْ؟.

اَلْخَرِيفْ

نوفمبر ١٩٨٩

بللٌ راكبٌ في ملابسه
وهوىً في يديه
يمس شغاف تصاويره
وخطاه
بمسٍ خفيفْ
ورؤاه تغيم
وقصدٌ هي المرأةُ الأربعائيةُ اللفتات
يحوّطها مهرجانٌ من الطير

يتبع مشيتها القروية
يحرسها
وهي تخطو إلى الورق الخضر
فرحانة بنداها الوريفْ
أيُّهذا النحيفْ
انتظر برهة
ريثما يتساقط عن كتفيكَ غبار الخراب الذي
يتوسّده شجرٌ أعزلٌ
وتمر إلى عتبات الرصيفْ
أيُّهذا النحيفْ
ليس ثمة شيْءٌ يدل على مهرجان عذابكَ
أو فوضوية ما تدّعيه
سوى أن تهندمَ رابطة العنق
أكثر مما يجبْ

وسوى أن تطول الطريقُ بخطوك
حتى التعبْ
وتحاذر حَفْوَ القطا
فالقطا جائعٌ
يتصيّد دفقَ دم المتعبين
ودفقَ دم الذاهبين إلى صبواتهمُ
في الفضا
يتدرب فوق خطاك عليك
ويرقب نزفك
وهو يطوفْ
خفّف الوطءَ
في كل خطوٍ ستخطوه
غطِّ الدم المتسرب منك
ببعض الترابِ

وبعض الخشبْ
يقتضى المشهد الآن أن تتزيّا ببعضٍ
من الوجدِ
والذكرياتِ
لأنك بعد قليلٍ
سترجع هذا الطريق الطويل
إلى أول العشب
والشجراتِ
وتخطو
يحاولك البلل المتربصُ
والبَرَدُ المتلصِّصُ
والحَسَكُ الرخوُ حول خطاكَ
ولا يتبقى من الأصدقاءِ سوى الرملِ
والذكرياتِ

الهوى في يديكَ
وقصدٌ هى المرأةُ الأربعائيةُ اللفتات
وهذا القطا جائعٌ
جائعٌ
جائعٌ
يا لَهذا الخريف.

سَيِّدَتَانْ

مارس ١٩٨٨

فرَّحتا أيامي
بالحسك الحلوِ
وضيَّقتا ربع القرن عليَّْ.
.....
ألأولى
استرقتْني من فرح الدنيا
وأقامت لي فرحا خاصا بي
وهواءً رقراقا

أمسكه بيديْ
كان لها رائحة الغُيّابِ
فغابت
وتسللت وراء روائحها الغائبةِ
كنبيٍّ
يتشمم رائحة اللهِ
يضلله اللهُ
وهُو معتصمٌ بروائحه منهُ
يتوه بصحراء العطش
ويبحث عن رِيْ
يستمسك هذا الخيط الواصل
بين الغفرانِ
وبين خطاياه
فلا ضلله اللهُ

ولا تاب عليه.

.....

ألثانية
استرقتْني من فرحي الخاصّ
أقامت لي فرحا يتقاسمه اثنان
قنّالٌ وقتيلٌ
أو عشّاقٌ وعشيقٌ
رشت مزن الفقد على جلبابي
روّتْ بالعطش الصادي
كفّيٌّ
كان لها رائحة الموتِ
فماتت

وتسللت وراء روائحها الميتةِ
ككلبٍ
يتشمّم رائحة قبور الموتى
يبحث عن صاحبه
فلا هو مقتنعٌ بالموتِ
ولا دلّ عليه الشاهدُ
والصبارُ
وها أنا ذا بين الموتى والغُيّابِ
أُسَيّر أشلائي
أستجمع ما يتبقى مني
أحمل طرفا من أخباري
بعضا من تذكاراتي
نفرا من أوجاع دمي
ومدائنِ عينيْ

وأدق

أدق

أدق

ولا يتبقى غير صدى وقع يديْ.

قَبْضَةٌ مِنَ الْبَحْرِ لِسَيِّدَةِ الْفَرَاغْ

يونيو ١٩٨٨

ما الذي أنتوي حين أخرج للبحر
ليس تدلُّ علىّ المصابيحُ؟
هل رملةٌ سوف تنقل سِرّ خطايَ
إلى موجةٍ
تتصيَّدها صخرة ما
وتحفظُ ما قاله البارحة
إنني سوف أفتتحُ الشجرَ العاطفيَ
بواحدةٍ من قصائديَ الفَرِحَةْ

وسأقبض ما أستطيع من البحرِ
ثم أذرّيه
فوق الكلأ
وسأشغل حالي بِعَدِّ المصابيحِ
سوف أشبّه موج البحار بفستان من أتعشُّقها
ولسوف أقول لها
عندما ترفع الريحُ فستانها:
إن موج البحار يعذبني
حين يضرب صخر الشواطيء
ينثر ذراته في الملأ
سأقارن ما بين حال اليمامِ
وما بين نهدين
ضاقا بحال التوجُّسِ
ثم أخبّرها أنني ظامِيءٌ

لغناء اليماماتِ لما تجوب المدى
صادحة
وسأخلعُ نظارةً
تتشوّف منها اتساع المسافاتِ
أقنعها أن هذا الفراغ لنا أن نطالعه كله
باتساعِ سواد العيون العواشقِ
والمقل الفاضحة
ولسوف أنبهها أنها عندما سوف تصبحُ ملء أصابعيَ
العشرِ
أصبح مرتبكًا
كصبيٍّ قليل التجاربِ
ليس له قصصٌ
أو حدائقُ زاهية طارحة
سوف أمشي

كأنْ ليس لى هدفٌ
وأدخّن أكثر ما أستطيعُ
أقيم مصالحةً بين دخَّان تبغي
ودخَّانِ تبغ التي أنا في عشقها
صرت مرتبكا
وقليل التجاربِ
حتى يصيرَ الدخانُ بحجم الغمامْ
ويرشَّ الغمامُ هواء خفيفا بقدِّ اليمامْ
ويطيرَ اليمامُ إلى هدفٍ ليس يقصدهُ
سوف أمشي
كأنْ ليس لى هدفٌ
وسأتهم الشجرات العرايا
بأن الخريفَ مبّرأةٌ ريحُه الجامحة
وبأن التي أنا أعشقها

لا تعرّي مصادفةً ركبتيها
ولكنه الفرحُ الحلوُ
لكنه السمك الغجريُّ
يكرر فعلته الرامحة
سأخطط بيني وبيني
مؤامرةً
ضد واحدةٍ
دون كل الخلائقِ
أخطفها
ثم أُسْرَى بها في المساء
إلى حجرةٍ في أقاصي المدينةْ
وَأُفَرّجُها اسمًا لها في جداراتها
كنتُ زوَّقتُه لها بالأحمر المتدرجِ
والأزرق التركوازيّ

كي تستضيءَ عيوني الحزينة
سوف أصبح مرتبكا حين أصبح قُدَّامها
وأحاول أن أتزيّا بقمصان وجدي الخفيفةِ
أو أن أرتّب بعض دمي
وهو يصعدُ في درَجِ الفرحِ
أو أن أُسَلّى عيوني بقرميدةِ السقفِ
والشرفة الواحدةْ
وفضاء البددْ
ثم أمشي
كأنْ ليس لى هدفٌ
وأكلّم نفسي كأن الفراغَ أحدْ
سوف يحدث أن سوف أقبضُ بعضا من البحرِ
بعضا من العشبِ
بعضا من الشعر

بعضا من الألق المستبدْ.

.....

ما الذي أنتوي؟

ما الذي أنتوي حين أخرجُ؟

ما الذي أنتوي حين أخرجُ للبحرِ مبتردًا

واحدا

ووحيدًا

بدون مصادفةٍ

وبلا موعدٍ

يتساقطُ فوق يديَّ البَرَدْ

في عيوني طيورٌ مُقَتَّلَةٌ

وجيوبي محشوةٌ بالحنينِ

وكفاي قابضتان على موعدٍ

وقضيناهُ

أو مطرحٍ
وقعدناهُ
أو فرحةٍ
وشربنا عذاباتها
فتشبَّع منا الجسدْ
ما الذي أنتوي حين أخرج؟
هل رملةٌ سوف تنقل سِرَّ خطاي إلى موجةٍ
تتصيَّدها صخرةٌ ما؟
فأفرحُ مثل صبيٍّ
قليلِ التجاربِ
ثم أعود الى حجرةٍ
في أقاصي المدينةِ
أقرأ فوق جدارتها اسما له نكهة امرأةٍ
عذبةٍ

منحتني بنفسجها
ليلةً ما
ومن يومها أنا أخرج كل مساءٍ
وأفرش شصا لها أتصيّدها
والمصابيحُ ليست تدلُّ علىّ
ولا الشجراتُ العرايا
وليس يرى قِطَعَ الدمِ
تقطُرُ من مقلتيَّ أحدْ.

عِنْدَمِا يَكْبُرُ جُوعُ الْقلبْ

مارس ١٩٨٧

تحمّلُ الفؤادَ بالخرائبِ المزوَّقةْ
سيدةٌ
كواذبٌ كل المواعيد التي تضربها
إذا لقيتُها
في طرق القاهرة المؤتلقة
يصير شوقي كله
في حجم كلمةٍ
قليلة الحروفْ

مجروحةٍ
محشورةٍ بين الشهيق
والزفيرِ
كلمةٍ صغيرةٍ
وصادقة
ويستحيل ذلك الذي يسكنني في وحشةِ
التذكراتِ
شوْفَةً حرَّاقةً
محترقة
تقولها العيون للعيون العاشقة
ويصبحُ الذي دسَسْتُه بين الحشا
مجرد التقاء راحتينِ
خافتا
من الزحام والضوضاءْ

وارتضتا بدفء اللمسات المشفقة
أسألها عن حالها
وكيف كانت سهرة الأحدْ
وحينما أهمُّ أن أسألهَا
إن كان ليلها مؤرّقا
وقلبُها مؤرّقا
يخونني ارتجافي
فتضيق الحلقة
تقول:
إن حالها كما أرى
وإن سهرة الأحدْ
كانت ككل السهرات
ولا تقول لي إن كان ليلها مؤرقا
وقلبها مؤرقا

أسكتُ
لا أقول إلا بالنظرات العاشقةْ
تقول:
سوف نلتقي مساء الغدْ
وتستديرْ
كواذبٌ كل المواعيدِ التي تضربها
أظل
واقفا
حتى تتوهَ في الزحام
والضوضاءِ
والليلِ المناويْ
وأستديرْ
يظل دفء اللمسات الباردةْ
عالقا بالكفّْ

عالقا بالقلبْ
عالقا حتى مساء الغدْ
ويصبح الزحام كله
ظلين
فاترين
سيدة كذّابةٌ
وعاشقٌ ظامئ.

عَطَشْ

فبراير١٩٨٦

خرجت بحمامات مشمشها
في نديف المنافي
فضحت حالتي للرياحين
كنت يتيما
وكان الفؤاد به كَلَفٌ بالنساءِ
ولكنني كنت مقتنعا
بتعطش جسميَ
في وحدتي

ما الذي يفعل المتعطش
لما يفاجئه النبعُ بين الفيافي؟
أنا
كنت مقتنعا بسكوتي
ولكنها خبّطتْ
في هسيس كلامي
وقلّبت البرتقالاتِ في شجري
وأشارتْ على قطرةٍ
بين بللور دمعي
وقالت:
سنقلبها فرحةً
مترجرجةً
وستبرقُ في خطوتينا
كمثل اللآلي

خرجت بفضيحة مشمشها
وحمام بنفسجها
كانت الراحُ مسكرةً
والكلامُ الذي يتعلمه القلبُ
أكبرَ من حجم فستقةٍ
تتخوّف حال ابتراد الليالي
تتخوّف حال النساءْ
فضحت حالتي للعصافيرِ
والبحرِ
والرملِ
والعشبِ
والغجريّين
حتى تعلَّمتُ صحوَ الكلامْ
وتعلمتُ صحوَ الغرام

وتعلمتُ صحوَ الحمامْ
إيه سيدة
مسّكتني ربابي
أنا ما عرف الغجريُّون سِرِّي
ولكنني فضّحتني عيوني
إيه سيدة
عزّفتني ربابي
أنا ما عرّجتْ قدمي باتجاه الحدائقِ
والشجرِ العاطفيّ
ولكنه يابسٌ كل ما بي
إيه سيدة
عشّقتني ربابي
أجيبي
أنا كنت مقتنعا بتعطش جسميَ

في وحدتي
ما الذي
ما الذي
ما الذي يفعل المتعطّشُ
لما يفاجئهُ النبعُ بين الفيافي؟.

فُقْدَانْ

يناير ١٩٨٨

هل قالت شيئا؟
هل قالت إن الشجر العريانْ
يشكو وحدته طول الصيف؟
هل سألتني عن سِرِّ عذاب الطير المصطاد
وعن فرح الصيادينْ؟
هل سألتني عن أرق العيدانْ
لما يتركها العزَّافونْ؟
هل ذكَّرني الزغب الطالع فى نهديها

أن الكلأ الظاميءَ يشكو
هجر الشجريّين؟
هل وافقتُ أنا أن نمشي
حين اقترحت أن نمشي
بمحاذاة البحرِ
وتحت الشجر العريان
هل وقفتْ قُدّامى حين استوقفني خللٌ
فى تكوين فضاء البحرْ؟
هل خافت من برد الشاطيءِ
واختبأتْ بين أصابعيَ العشرْ؟
هل ظلت تنظرلي
حتى بلّل عينيها دمعُ الوقت
هل كنت أنا ورقيا حتى خافت أن أتكسَّر
لو هي شدّتني

من كفيَّ
وحتى خفتُ أنا
أن تكتشف دموعي؟
هل كنت صموتا طول الوقت
أم اني قلت بأني لا أقدر أتكلم بين عذابي
وعذابي
وكتمت كلامي بين ضلوعي؟
وهل السيدة استلبتني كُلّى
حين انفلتتْ
أم تركت لي شيئا
يرجع بي وحدي؟
هل كنت أنا هذا الراجعَ بمحاذة البحرِ
وتحت الشجر العريانِ
يدخِّنُ

في صمت الوقتِ
ويرسم بالدخان تصاويرا
لعذاب الكلأ الظاميءِ
وتحجر حال الشجريّين؟
هل كنت أنا هذا الساهرَ في طول
الليل
يجرب وحدته في صمت الجدران الأربعةِ
وفي خلل الناموس؟
هل؟
هل؟
هل؟
لا أدري
لكني
كنت على مفترق الطرقِ

بلا مقصدْ
كنتُ كسمك البحر
يتصيَّده الصيادون
وتخطئه السنارات
فيفرحُ في ملح الماء
ويعاني
الفقدْ.

خُسْرَانْ

نوفمبر ١٩٨٨

ما الذي أجّل صيد الملكةْ؟
إنني عايَنتُ حال البحرْ
واعتليت الصخرْ
ورميت الشبكةْ
وانتظرت الوعدْ
صابرا كنت كما يجدر بالصيادْ
صابرا كنتُ
وحالي لم تكن مرتبكةْ

كان طُعمي كافيا
وغروري كافيا
وعيوني بالفضا مشتبكةْ
هذه الصيدة لم يبق سواها
لاكتمال المملكةْ
هذه الصيدةُ قد قررت أني بعدها
لن أقربَ البحرَ
وأبقى مَلِكَا
هذه الصيدةُ كانت آخرَ المرجوّ من صيدي جميعا
هل أنا صرت عجوزا
أم يدايَ كلّتا
أم شِباكي ضللتها ظلمةُ الليلِ الخئونُ الحالكةْ
أنظروا
إنني أسحب نفسي

راجعا من غير ما صيدٍ ولا شَبَكٍ ولا طُعمٍ
كسيرا
باهتا
لا تسألوني ما الذي أجّل صيد الملكةْ؟
إنني أنسلّ وحدي ملكًا يُخلع في
لحظة التتويج في العرشِ
فلا يلقى حواليه سوى رهطٍ بخيلٍ
نازحٍ عنه
وهُوْ كان عطِيًّا وسخيًّا
لا تقولوا أنتَ ما أتممتَ بعدُ المملكةْ
خانني البحرُ
فأعلنت انهزامي
وخسرتُ المعركة.

قَاطِرَةُ مُنْتَصَفِ الَّليلْ

يناير ١٩٩٠

بكت السيدةْ
عندما أطفأ العاشقُ المتوجِّسُ
آخرَ سيجارةٍ
ثم فاجأها بالغرامْ
هل تظل قطاراتُ حلوانَ سائرةً
بعد منتصف الليل؟
هل تمطر اليوم ثانيةً
ويُضيءُ الغمامْ

هل يظلُّ يتابعنا النادلُ المتلصِّصُ؟
هل أنتَ أحببتَ من قبل؟
عمَّا قليلٍ
سترحل سيدةُ الأربعاءِ إلى الأربعاءِ
ويرجع هذا الخريفُ
يركبُ آخر قاطرةٍ
متعبٌ
متعبٌ
راحتاه مبللتان بصوتِ البعادْ
حَشوُ عينيه رملٌ
وفاكهةٌ نيَّةٌ
ورمادْ.

الْعَشِيقُونْ

نوفمبر ١٩٩٠

سوف يمر العشاق على حال الوردةِ
حتى آخرِ جرحٍ في دمهم
أو حتى يبكوا ما يكفي للفرقانْ
وقتٌ يتخشَّبُ
ومواعيدٌ لا تحصى
ودموعٌ أبيضها جافٌّ
وحواليها ثمَّ تجاعيدٌ
تنمو أكثر مما يفترض الوقتُ الجوعانْ

مرت سنةٌ
والعشاقُ يمرُّون على حالِ
الوردةِ
والوردةُ لا تدرك أن دماءَ العشاقِ
حرامٌ
ولُزُوجَتَها سهوٌ
وفضيحتها أن يختصمَ الطيرُ النقار
على أجواءِ روائحها
ويحاصره الدخانْ
مرت سنةٌ
مرت سنتانْ
مرت عشرون سنة
دسُّوا أذانكمُ
واسترقوا السمعَ إلى قول القُوَّالِ من العشَّاقِ

القتلةِ
والعشاق المقتولينَ
أيمضون إلى عُرْيِ الماءِ
أيقتلعون الكلأ الرخوَ
ويحتكمون إلى نارٍ مطفأةٍ
وهواءٍ عريانْ
أم يعترضون طريق البدوِ الرُّحَّل؟
أم يختطفون الضِّيفانْ؟
بعد قليلٍ
تقترض الوردةُ من حال العشاقِ دمًّا
لفضيحته أن يختصمَ الطير النقَّارُ
وتسرِّب للبدو الرُّحَّلِ بعضا من سَهْوِ
لُزُوجَتِه
وتقيد به نارا للضيفانْ

بعد قليلٍ
ستقول الواحدةُ لمن يتشهّاها في حالاتِ السهوِ
وفى وقت الخفقانْ:
أنت خصيمي
أنت مديح النهدين
وربيب جنوني
جوّالٌ في خائنة العينِ
وما تذروه الريحُ
لكني بعضٌ من حال الوردةِ
بعضُ أريجٍ من عطرِ الريحانْ.
.....
ألوردةُ
تكبر بعض الشيءِ
وتنحو في طرقٍ متعرجةٍ

وتعاين خطوَ الرُّحَّلِ والركبانْ
والعشاقُ القتَلةُ والعشاق المقتولون
يرومون الوقتَ الآفلَ
بين دمائهمُ ودمائهمُ
ويسوقون قرابين القُربَ للآلهةِ الجوعى
حين يفاجئهم قيظٌ أو بَرَدٌ
لكنهمُ
مازالوا يتَّبِعون الوردةْ.

مُحَاوَلَةْ

أكتوبر ١٩٨٣

ربما أنت تكره هذا المدى
الواسعَا
ربما تصطفي وطنا
ضائعَا
ربما ستظل زمانا طويلا هنا
رابضا في حدود المدينةِ
تشعل أفقك تبغا
وترفضُ أن يعتريكَ الذبولُ

وترفضُ أن تنتشي بالدخانِ
وتكرهُ أن تتسللَ في هدأة الليلِ
من عسسٍ رابضٍ
في جميع حواليكَ
من كل ناحيةٍ
وكأنك وحدك مقصدهم
وكأنك وحدكَ أنتَ الذي ترتضيه
البنادقُ
يا رجلا
يتكوّن من تبغه
ورصاصِ الجنودِ
ولكنه ليس يكره في هدأة الليلِ
يرسمُ وجه حبيبته
في دخان السجائرِ

يكبرُ
يكبرُ
يكبرُ
حتى يصيرَ البلادَ التي
يشتهي القلبُ
حتى يصيرَ المدى
الواسعَا.

نُبُوءَةْ

يناير ١٩٨٤

احذر هذا العطر المكنونْ
وامشِ كأنك ذو أربٍ
يا حلوَ اللفتةِ
يا مفتونْ
تتلبّسُكَ الرّجفةُ في فبرايرْ
تخلع جلدا عطنًا
وتسيرُ بوادٍ ذي زرعٍ
وتقول كلاما ليس كما قال الناسُ

وليس كما سيقولونْ
تتفرّدُ
والناسُ ستلتمُّ
تتكلّمُ
والناسُ ستسكتُ
وسترحلُ والناسُ ستتشبَّثُ بالأرضِ الخاويةِ
وماءٍ رخوٍ
وخئون
فُوَّهةٌ ستصّوَّبُ
وستصبحُ أنتَ رصاصَا
ستكذّبكَ الناسُ
وأنتَ كلامُكَ قرآنٌ
أنتَ مُداوَى
ويقولون عَيِيٌّ

ونبيٌّ
ويقولونَ دَعِيٌّ
ستُطَاردُ
وتُحَارَبُ وتُهَجَّرُ
لكنك ستعودُ إلى أوَّلتِكَ
مبتهجا
تتطاولُ
فتطاولْ وارتفعِ وقُلْ
فالقول فنون
لا تخشَ غبارَ الرُّحَّلِ والسيّارةِ
وضجيج والماشينْ
حجرٌ يرفضه البنّاءونَ
ويصبحُ رأسَ الزاويةِ
وحيث يكون المجدُ الدوّارُ تكونْ.

بُكَائِيَّةُ الشَّجّرِ السَّاهِرْ

مارس ١٩٨٤

شجرٌ وحده قاعدُ
شجرٌ وحده ساهرُ
ليس تدخله الريحُ
ليس به وجعٌ للحياة
لنبضِ الثمارِ القديمْ
وحدهُ
هوَ لما يزلْ حافظا للتضاريسِ
لما يزلْ راصدًا للعصافيرِ

لما يزلْ – بعدُ – يحصي النجومْ
ويُخَبّيءُ في جذعه فرحًا للقا
لا يدومْ
ويخبيء حزنًا يسامره الليل
يفرشه بالترقّبِ
علّ الذي يترقَّبُ ينهضُ
لكنه لا يقوم.

.....

سوف أرحلُ قالَ
ارتدى البدلةَ العسكريّةَ لكنه لم يعدْ
وحملتُ أنا جثته
ومشيتُ وحيدًا تجرّرني قدمايَ

أحاول أُنهضه
وهو ليس يقومُ
أحاول أُجلسه
وأقول له كلّ ما في الحشا
دفعةً واحدة
آه أتعبتني
يا قتيل الجسدْ
لم أكنْ أبدا ميّتًا
فلماذا إذنْ أشعرُ الآن أن دمي
يتسرّبُ من جسدي؟
أقعد الآنَ
لم يبقَ في الجيبِ سيجارتانِ
ولكننا نستطيعُ بواحدةٍ
نقعد الليلَ

نحكي حكايتنا من بداية هذا الرحيل
وحتى صباحات غدْ
وتسندْ
على كلماتِ الحكايةِ
أقعدْ معي ليلةً
بعدها ارحلْ ومتْ
كيف تبغي
سأقول الذي في الحشا
دفعةً واحدة
آه أتعبتني
لم أكن أبدا خائفًا
فلماذا تحملق عيناي فيك
وأنت مسجى على ساعديّ
لم أكن أبدا جائعًا

فلماذا إذن أشعر الآنَ بالجوعِ
يحوي فؤادي البرَدْ؟!

.....

يا لهذا السراجْ
أيكون شحيحا إلى حد أنيَ لا أستطيع أرى
نقرةَ الطيرِ
في خشبِ السقفِ
(كان السياجُ البعيدُ يظللنا
والمسا باردًا
قلتَ:
نزحفُ
لكنني كنت أبصر من يتطاولُ خلف السياجِ

اقعد الآنَ
جُعنا كثيرا
فهيا بنا نتعشّى
وننسى الذي يتطاولُ
خلف السياجْ).

.....

يا بحرُ يا كذّابْ اكتبْ على الأبوابْ
وجع الهوى شبّابْ وحبيبي الغيّاب

ركب الرحيل وذاب.
وهواؤه الطيّابْ بين الفضا جوّابْ
وكلامُه الحبّاب صادٍ بلا أحبابْ
يا بحرُ يا كذّابْ .

.....

كل ليلٍ أنا ساهرُ

كل ليلٍ أنا قاعدُ

ليس تدخلني الريحُ

لما أعاين وقتَكْ

ليس ترفعني فوق هذي التخومْ

ليس بي وجعٌ للحياةِ

ولمّا أزلْ بعدُ أُحصي النجومْ

لأراقب موتك

يا تُرى

ما الذي بعد أن يسكتَ الليلُ

أفعلهُ

وأنا قاعدٌ

حارسٌ جثتكْ؟.

وَحْشَةُ اللَّيْلِ الْخَطِيءْ

*** إلى جهاد عبد الجبار الكبيسي ***

مايو ١٩٨٧

(بلادٌ ألفناها على أي حالةٍ
وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحَسَنْ
وتستعذب الأرض التي لا هوى بها
ولا ماؤها عذبٌ ولكنها وطنْ)

يا صاحبي فُكَّ الوثاقْ
إنه نفس العراقِ

ولستَ وحدك أول التمر الذي
حطّت به ريحُ الفراتِ
على خضار النيلِ
حتى صار نيليَّ المذاقْ
إنه نفس العراقِ
وأنت متهمٌ بعشقك للعراقياتِ
منفيٌّ عن الوطن الذي
جرّحتَ فيه حوائطَ الفرح الطفوليّ
امتشقتَ فراشةً
وشدوتَ موّالا أثيريا على
جسرِ العناقْ
وتغنيتَ كما يجدرُ بالعشَّاقْ
وتلوتَ الوِرْدَ
قلتَ:

النارُ تبتديء القيام إلى بدايات النخيلِ
الطفلِ
يا ناسُ
البدايةُ أن نجرّح حائطا
ونقول موالا أثيريا
إذا ما ماءُ دجلةَ للعشيقين يُساقْ
والله يكره أن تحاصرَ عشبَنا النارُ
والطينُ مبلولٌ
ودوّارُ
إنه نفس العراقِ
وأنت تنفثه بدخَّان السجائر في نهاراتِ الفراغ
المستطيلِ
دُخَان تبغكَ يارفيقُ
مشابهٌ لحنينك القتَّالِ

مخلوطٌ بطعم البعدِ والفرقانِ
مجروحٌ بحجم فضائهِ
هل كائناتُ دخانك العصبيّ
تصلح أن تقيم مدينةً
أنت ابتدأتَ خصامها
وكشفتَ جرحك للفراتيّينَ
عرّيت الفضيحةَ كلها
من أول النخل العراقيّ البريء
إلى بدايات اغترابكَ في بلاد اللهِ
محشوا بنار الدهشةِ الأولى
وآلاء الفراقْ
خذ شوقَك العالي
دخانك قادرٌ أن يجمع الخلانَ
والوطن الوسيعَ

مُبَرَّأٌ بين النهاراتِ المَشُوقَةِ
صاعدٌ لمدارج الأفاقْ
في مدارِ الفلكِ
يصطاد اليمامات العشيقة في الفضا
ومُخَطَّأ في الليلِ
متهمٌ بخيبته على أن يجمعَ الناسَ
الفراتيّينَ
حول مناضد الليل التي ابتردتْ
من السهر الطويلِ
ومن نديف فراغها
قل يا رفيقُ:
مُبَرَّأ نخلُ العراقِ
مُبَرَّأٌ ماء الفراتِ
وقلْ:

تخيرتُ المنافي يا فراتيّين
وانتخبتْ عيونيَ نجمةٌ حيرى
وقتِّلْ وحشة الليل الخطيء
بصدرك المشتاقْ.

تَقْرِيرٌ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى أُمِّي فِي سُوهَاجْ

أغسطس ١٩٨٣

أقولُ لكِ الحقَّ
كل نساء المدينة يعجزن يصنعن لي كوبَ شايٍّ
كما تصنعين
فشوفي إذن للمصيبةِ حلا
أنا – بعد - عطشان للشاي
والليلُ رتّبَ لي ظلماتٍ
تدور على مهلٍ
تمنع الضوء أن يستوي ويُطِلا

ولا أستطيع الرجوعَ إليكِ
ولا أستطيع إلى هدأة القلبِ قولا
فقد كبّلتني البنادقُ
والخوذة الضيقةْ
هنا
ألنساء يفضلن يصنعه باردًا
وخفيفًا
وحلوًا
يعاندنني
وأنا مثلما تعلمين عنيدٌ
وأركبُ رأسي
فشوفي إذن للمصيبةِ حلا.

شَهِيدْ

يوليو ١٩٨٨

أبقِ عينيكَ ما بيننا يا قتيلْ
ربما أرق الله ضوؤهما مرةً
في سكونِ السماواتِ
أو ربما دلتاه على خطأٍ هو في غفلةٍ منه
أنشأه في المجرةِ
أو ربما يصطفي لهما أفقا
باتساع دموعهما
أو دمائهما

أو ضياعهما في الرمال الوسيعةِ
من غير شاهدةٍ
أو دليلْ
أبق عينيك ما بيننا
يا قتيلْ.

فَرَحْ

أكتوبر ١٩٨٥

كان قلبيَ ناسا كثيرين
فرَّحهم فرحٌ فجأةً
فاستحالوا عصافيرَ فرحانةً
في الفضاء الوسيعْ
إيهِ
هل يقدر القلبُ فرحَ الدموعْ؟
هل تُعلل هذي الوجوه التي بايعتك؟
وهل للخطيئة أن تتبرأ؟

هل؟

هل؟

لماذا تهلهل؟

هل .. هل تريحك؟

هل .. هل ترتب فرحتك الفوضوية؟

لا

إن فرحتك الفوضويةَ أشهى

هو الفرح

أشهاه فوضاه

أحلاه فجأته

وله وَلَهٌ وهواءٌ طريٌّ

فلا تخش أن يغرق القلبُ

في طرقات الرجوعْ

فالقلب من زمنٍ

غارقٌ في افتراضاته لفجائية الفرحِ
من زمن
غارقٌ في اقتراحاته لعلائقه بالمواسم
من زمن غارقٌ في نبوءاته للجوانح
إن جميلا يخشُّ
ودمًّا جديدا يرشُّ
وطيرا سقيما ينقّر من زمنٍ في موالحنا
سيهشُّ
ونبقى وحيدين
إيه ياصاحبي
يا أنا
ليس للفرح أشكاله
القزحيةُ
للفرح

حال البُكا والمجانين .

(نور الدين عبد العال)

ترفق إذا جئت تبغي الغناء
بغير دليلْ
أنت جرّبتَ ماءَ الصحارى
فهل تتهجَّى البياضَ
وأنت تهجَّيتَ حال الدراويش
في زمن البندقيةِ
والخوذة الضيقة
وضياع السبيلْ
واسكندرية يا نورُ
باردةٌ في الشتاءِ

وعاهرةٌ في فصول الرحيلْ
اترك الليل يسهر بين الشتاء وحيدا
يغني أغانيه بين الفضا
ويميلْ
أترك الآن جسمك
واسمك
رسمك
بين الرمالِ يصولُ
يجولْ
وتخبَّأْ بزاوية المسجد العسكريّ
وصَلِّ العشاءْ
هم إذا ذهبوا لك بين الشتا
وجدوك تحوِّم حول السياجِ الطويلْ
وأنتَ

تصلي بزاوية المسجدِ العسكريّ
تفرَّحْ إذن
وتهجَّ البياض الجميلْ.

(مجدى عبد الله)

(إن العيون التي في طرفها
حوَرٌ
قَتَلْنَنَا
ثم لم يحيين قتلانا)

(السمّاح عبد الله)

لو كنتَ تدري ما البكا

لبكيتَ
لو كنتَ تدري ما الجفا
لجفوتَ
لو كنتَ تدري ما الرجوع إلى بلادٍ
طلَّعتكَ
لما رجعتَ.

سَنَاءْ مُحَيْدَلِي تَقْرَأُ كِتَابَ الْعُرسْ

ديسمبر ١٩٨٥

لكأنني كنت امتدادا بين من سكن الهوى
والغافي
لكأنني خبَّأت محبوبي عن الناس العطاشى
وارتويتُ
وكان جسمي صاديا من ألف عامٍ
واقترحت مدينة أخرى
وجرَّبنا معا عشب المنافي
صيّرتُه في شكل نخل باسقٍ

وصَعَدْتُه
ورسمته في الرمل رحَّالا
وقلتُ:
سأقتفي أثر الذي هجر القتيلَ
وسار في رمل الفيافي
شكَّلتُه في طعم ماء البحر
مالحا
ونزلتُ
كنت يتيمةً في حاليَ الخالي
وفرحتيَ الصبوحْ
كوَّرتُه في حجم جرح
واسعٍ
صعَّدتُه تنهدةً
من صدريَ المجروحْ

لكأنني آخيت بين بنفسجي
وبُكاي
لكأنني حاصرت بردي كله
بترابه الدافي
لكأنني
كنتُ انتظرت زفافي.

هَطّلِي يَا مَطَرَةْ

مارس ١٩٨٥

هذه المطرةُ كنا عاشقيها
منذ عشرين سنة
عندما كانت تجيء
فيرشُّ البللُ الهاطلُ
أطرافَ الأصابعْ
ويسيلُ الماءُ ما بين المرابعْ
ويغطي عُرْيَنا الناشفَ في برق الشوارعْ
نحضن الماء بكفينا
ونشربه

كأنّ الله أرسله إلينا
غارقا في بلل الفضة
فرحانا وبراقا ولامعْ
هذه المطرةُ قد بعدت إلى بلدانها الأخرى
وصادت غيرنا ناسا
وعشاقا
وعطشانين جوابين ما بين المزارعْ
ما الذي ذكَّرها الآن بأحوال التجاعيد
التي غارت على أوجهنا الأخرى
التي صارت لنا؟
بجفاف الشجر الذابل
في هذا الخريف؟
نحن أدمنا جفاف الشجرة
ويباب الخضرةِ المستترة

ونسينا قصة المطرة
ذكّرتنا بالذي كُنّاه
عندما كنا صغارا
منذ عشرين سنة
عندما كانت تجيء
فنغني:
هطّلي يا مطرة
هطّلي يا مطرة.

تَكْرَارِيَّةْ

مايو ١٩٨٩

سيخرج هذا المساء
ويدخل مقهىً
ويطلب قهوته
ثم يعلن للنادلِ المتعجلِ حين يُخَبِّرُهُ أن قهوته ابتردتْ
أنها غير جيدة الصنع
يتركها
ويقوم
ويضرب للأصدقاء مواعيدَ كاذبةً

ويقابل صاحبه
ويعاتبه عن كلام قديمٍ
ويتركه غاضبا
ثم يمضى إلى موعدٍ عاطفيّ
يشد أصابعَ محبوبةٍ في ظلال الغصونِ
يقبلها عنوةً
ويضايقها بكلامٍ قبيحٍ
ويمشي
وحيدا إلى البحر
مثل اليمام المشرّدِ
مختنقا بالمدينة أجمعِها
يضرب الحَجَرات الصغيرات في العشبِ
ليس له مقصدٌ غير أن يتسلّى بأعمدةٍ تتكرر
أو ورقٍ يتساقط من شجر البحر

يمشي
وحيدا
يتمتم مثل قتيلٍ له ألف ثأرٍ
له ألف ذاكرةٍ
يتخاصم في نفسه
ويصالحها
ويعود إلى حجرةٍ في أقاصي المدينةِ
يأكل بعضا من الخبزِ والجبنِ والتبغِ
ثم تضيءُ ذواكره فجأه بالقطارات أو بالمدائن
أو بالنساء
فيكتبُ
يكتبُ
يكتبُ
حتى التعبْ.

خَاتِمَةُ الْقَولْ

أليس يكفى أيها الأله
أن الفناء غاية الحياه
فتصبغ الحياة بالقتام
تحيلني – بلا ردى – حطام
سفينة كسيرة تطفو علي المياه
هات الردى أريد أن أنام
بين قبور أهلي المبعثرة
وراء ليل المقبرة
رصاصة الرحمة.. يا أله.

بدر شاكر السياب

مؤلفات السمّاح عبد الله

أولا : دواوين شعرية

٠١ - شتاءة للعاشق الوحيد

٠٢ - سقيفة الفقراء

٠٣ - حصيرة البارحة

٠٤ - خديجة بنت الضحى الوسيع

٠٥ - مكابدات سيد المتعبين

٠٦ - الواحدون

٠٧ - أحوال الحاكي

٠٨ - مديح العالية

٠٩ - خلاخيل العابرة
١٠ - الرجل بالغليون فى مشهده الأخير
١١ - ثلاثاءات عابر سبيل
١٢ – متى يأتي الجيش العربي ؟!
١٣ – قبو الثلاثين
١٤ – تصاوير ليلة الظمأ
١٥ – طرف من أخبار الحاكي
١٦ - نثر الدر

ثانيا : المسرح الشعري
أغنية إلى النهار

ثالثا : المختارات الشعرية
عن الأشياء نفسها

رابعا: مختارات من الشعر العربي

١ - مختارات من شعر محمود سامي البارودي

٢ - مختارات من شعر أمل دنقل

٣ – مراثي الإمام محمد عبده

خامسا: إعداد وتقديم

١ – ديوان ولي الدين يكن

٢ – ديوان إسماعيل صبري

سادسا : شعر الأطفال

١ - شجرة الأسبوع

٢ – خير الأمور الوسط

٣ – الأغاني الصغيرة

٤ - أغنية الشجرة

٥ – بستان الشهور

٦ – قط في المرآة

سابعا: فصول من السيرة الذاتية
الرحل ذو الجلباب الأزرق الباهت

ثامنا: كتب مجمعة:
عطلة الشجرات، مجلد يضم ثمانية دواوين، هي: نثر الدر، طرف من أخبار الحاكي، تصاوير ليلة الظمأ، قبو الثلاثين، متى يأتي الجيش العربي؟، ثلاثاءات عابر سبيل، الرجل بالغليون في مشهده الأخير، خلاخيل العابرة.

تاسعا : كتب عن الشاعر
١ - وجوه بين صوابعي مقاربة شعرية لديوان الواحدون أسرار الجراح دار التلاقي للكتاب ٢٠١٠

٢ – الزمن ودلالاته في شعر السماح عبد الله دراسة نقدية د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٣ – قراءة الثورة بأثر رجعي دراسة في قصائد خديجة للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٤ – تجليات الزمن في ديوان "مديح العالية" للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

عاشرا: بيانات:

مدير بيت الشعر المصري، مركز إبداع الست وسيلة.

هاتف شخصي: ٠١٠٠٧٥٥٨١١٧.

بريد إلكتروني: alsammah63@yahoo.com

المحتوى

إشارة ٠٦

إهداءة ٠٧

بدء القول ٠٩

نَذرْ ١١٠

اَلْخَرِيفْ ١٥٠

سَيِّدَتَانْ ٢١٠

قَبْضَةٌ مِنَ الْبَحْرِ لِسَيِّدَةِ الْفَرَاغْ ٢٧٠

عِنْدَمِا يَكْبُرُ جُوعُ الْقلبْ ٠٣٧
عَطَشْ ٠٤٣
فُقْدَانْ ٠٤٩
خُسْرَانْ ٠٥٥
قَاطِرَةُ مُنْتَصَفِ الَّليلْ ٠٥٩
الْعَشِيقُونْ ٠٦١
مُحَاوَلَةْ ٠٦٧
نُبُوءَةْ ٠٧١
بُكَائِيَّةُ الشَّجّرِ السَّاهِرْ ٠٧٥
وَحْشَةُ اللَّيْلِ الْخَطِيءْ ٠٨٣
تَقْرِيرٌ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى أُمِّي فِي سُوهَاجْ ٠٨٩
شَهِيدْ ٠٩١
فَرَحْ ٠٩٣
سَنَاءْ مُحَيْدَلِي تَقْرَأُ كِتَابَ الْعُرسْ ١٠١

هَطّلِي يَا مَطَرَةْ ١٠٥
تَكْرَارِيَّةْ ١٠٩

خاتمة القول ١١٣
مؤلفات السمّاح عبد الله ١١٥